وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

الأمانة العامة للأوقاف

مجلة البيان

الطعن في القرآن الكريم

د. عبد المحسن بن زبن المطيري

أستاذ التفسير بكلية الشريعة جامعة الكويت

الأعمال الخيرية
Benevolent Act Mabarrat

الطعن في القرآن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد عرف أعداء الإسلام أن مصدر عزة هذا الدين وأهله، وسر تجدده في نفوس المسلمين هو هذا القرآن العظيم، الذي لا يخلق من كثرة الترداد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يمله القارئ والسامع ولا يزداد به المؤمن إلا يقينا بدينه وتعلقا به، هذه المعجزة الخالدة، والآية الباقية ما بقي الليل والنهار، هذا الكتاب الذي وعد الله تعالى بحفظه بقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩].

ولما كانت هذه منزلة القرآن، اجتهد أعداء الدين بالطعن في هذا القرآن؛ حتى يسلخوا المسلمين من التعلق به، فيصبحوا صيداً سهلاً وغنيمة باردة. وحرب أعداء الدين هذه ليست فقط على القرآن، بل على كل أساساته وقواعده؛ فهناك الحرب على الرسول ﷺ وسنته[١]، والطعن في عدالة الصحابة، والحرب على المرأة المسلمة[٢] وحجابها وعفافها، والحرب

---

(1) انظر: كتاب: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، د. عماد السيد الشربيني، دار اليقين، المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، وكتاب القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش، الطائف، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ .

(2) انظر: كتاب: ماذا يريدون من المرأة لعبدالسلام بسيوني، طبع إدارة الشؤون الإسلامية في قطر، فإنه نفيس في هذا الباب، وكتاب عودة الحجاب، لمحمد إسماعيل المقدم، الرياض، دار طيبة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ .

على بعض الشعائر كالجهاد[1]، وغيرها من الجبهات، ولكن الحرب على القرآن هي أخطرها وأشدها وأشرسها؛ لأن القرآن هو الذي يدل على الأصول السابقة ويحث عليها، فهو أصلها وهي فروعه، وبذهاب الأصل تذهب الفروع؛ ومن هنا عزمت في هذه الرسالة على جمع هذه المطاعن والإشكالات التي تثار الآن، والتي هي عبارة - في غالبها - عن ترديد لما سبق، فلو عرفها الناس وتحصنوا منها لما حصل هذا الاضطراب من هذه الشبه .

ومن أهداف البحث أيضا الرد على المستشرقين الذين يطعنون في هذا الدين، ويشككون في قدسية وعصمة كتابه. وكذلك الرد على المعاصرين الذين تأثروا بهذه الشبه وبدأوا يرددونها.

ومن هنا كان هذا البحث.

(1) انظر: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، يوسف إبراهيم الشيخ عيد، دار المعالي، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ .

(الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين)[١]

وليس من منهجي أن أجمع كل ما أثير، بل أجمع ما كان فيه شبهة وقد يقع فيه اللبس عند بعض الناس، وأما بعض الطعون التي يوردها الطاعنون بسبب جهلهم باللغة، أو سوء فهمهم، أو تحريف المعنى، أو الكذب، أو الدعوى المجردة عن الدليل، أو يسبب الحقد الدفين، فهذا يكفي ذكره في إبطاله، ويكفيك من شر سماعه، مثل إنكارهم بلاغة القرآن وهم أبعد الناس عن تذوق بلاغة القرآن، أو تفسير بعضهم قوله تعالى: {وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ} [الزمر:٧٥]؛ فقد قال بعض المستشرقين في تفسير معنى {حَآفِّينَ}: أي بدون أحذية[٢]. (وفسر بعض المستشرقين قوله تعالى: {وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ} [الإسراء: ١٣] بقوله: يأتي الكافر وفي رقبته حمامة .ومنهم عَلَّامة تصدى لوضع المعجمات الكبرى[٣]، فكتب في مادة (أخذ) أنها تأتي بمعنى نام لقوله تعالى: {لَا تَأْخُذُهُۥ

---

(1) وهو تلخيص لرسالتي الدكتوراة (دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها).

(2) انظر: الإسلام دعوة عالمية ومقالات أخرى، لعباس محمود العقاد (ص: ١٨٩)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

(3) وَصْفُ العقاد لهذا المستشرق بالعَلاّمة هو من باب: التهكم والاستهزاء بجهله الشديد باللغة العربية، وقد فضح جهله هذا تفسيره لمادة (أخذ) بمعنى نام مخالفًا بذلك جميع معاجم اللغة، فصار كمَن تخصص في وضع معجمات لنا لا نعرفها.

سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة:٢٥٥])[١]. ومثل ادعاء بعضهم أنه وجد مخطوطة بخط النبي ﷺ، وبالتالي يثبت أنه لم يكن أمياً[٢]، وقول بعضهم: إن معنى قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ} [الأعراف:١٥٧] أن أمي بمعنى وثني[٣]. وادعاء بعضهم أن الوحي عبارة عن صرع كان يصيب النبي ﷺ[4]. أو النزول إلى الدرك الأسفل من الدناءة بإطلاق لفظ (الخراء) على القرآن، كما في كتاب حيدر حيدر[٥] (وليمة

---

(1) انظر: اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، لعباس محمود العقاد (ص: ٧٥)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.وذكر محمد العوضي في مقال له عن الاستشراق في جريدة الحدث الكويتية (العدد: ٩٦) بتاريخ ٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٢: أن أحد المستشرقين فسر قوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} [البقرة: ١٨٧] بقوله: يعني هن بنطلونات لكم وأنتم بنطلونات لهن).

(2) المرجع السابق (ص: ١٩٢) وفيه أن صحف القاهرة نقلت هذا الخبر عن صحيفة بيروتية اثبت فيها واجدها انه بخط النبي ﷺ، ومن المعلوم أنه لا يمكن إثبات هذا إلا عن طريقين؛ أحدهما: أن تكون عندنا مخطوطة مكتوبة بخط النبي ﷺ ونقارن بين الخطين، وهذا غير موجود بداهة.الثانى: أن يشهد شهود عدول أن النبي ﷺ كتبها، وهذا مما لا وجود له أصلاً .

(3) انظر: دفاع عن القرآن ضد منتقديه، لعبدالرحمن بدوي (ص: ١٥)، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة.ويقول بدوي في هذا الكتاب (ص: ٧): إن معرفة المستشرقين للغة العربية من الناحية الأدبية أو الفنية يشوبها الضعف، ويمكن القول أن هذه الملاحظة تخصهم جميعا تقريبا.اهـ .

(4) انظر: حاضر العالم الإسلامي، لستودارد (١/ ٣٤)، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣ .

(5) حيدر حيدر: كاتب سوري معاصر من سكان قرية (حصين البحر) القريبة من ميناء طرطوس، ألف رواية"وليمة لأعشاب البحر"وملأها بالاستهزاء والسخرية من

لأعشاب البحر)[١]، وغير ذلك من السفاهات .

الطـعون على الـقرآن تنقسم قسمين، طعون حول القرآن، وطعون في القرآن؛ الطعون حول القرآن من مثل الطعن في جمع القرآن، وتواتر القرآن، وتقـسيم القرآن إلى مكي ومدني، ونزول القرآن على سبعة أحرف، ومعنى المتشابه في القرآن، والنسخ في القرآن، وترجمة القرآن، وإعجاز القـرآن، وقـراءات القرآن ...إلخ، تلك الشـبه التي تـحوم حول القرآن ولا تطعن في آياته طعنا مباشرا، وهذا البحث كفانا فيه عدد من العلماء الأفاضل والباحثين الأجلاء، ومن أفضل هذه الكتب التي اطلعت عليها، كتاب «شبهات حول القرآن وتفنيدها» للدكتور غازي عناية[٢]، وبعضهم أفرد في بعض هذه المباحث مؤلفا، مثل كتاب «المستشرقون وترجمة القرآن الكريم» للدكتور محمد صالح البنداق[٣]. وفي كتاب «القراءات وأثرها في التفسير والأحكام» للدكتور محمد بن عمر بازمول[٤] عقد باباً بعنوان (رد الشبهات التي تثار حول القراءات) أجاب فيها على كل ما يثار حول هذا الموضوع، وكتاب القراءات في

الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكتابه ودين الإسلام، والرسل والأنبياء، والأزهر، وغير ذلك.انظر: كتاب"الملحدون الجدد"لجمال عبد الرحيم (ص: ١٢٥)، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ .

(1) انظر الملحدون الجدد لجمال عبد الرحيم (ص: ١٢٧) .

(2) طبعته دار ومكتبة هلال للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ .

(3) دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ .

(4) طبعته دار هجر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ .

نظر المستشرقين والملحدين للشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي[١]، وكتاب نزول القرآن على سبعة أحرف للدكتور مناع القطان[٢]، وفي مجلة لواء الإسلام بحث لعبد الباري إبراهيم أبو عبلة في الجواب على طعون المستشرقين في لغة القرآن ونحوه[٣].

ومن أشد الكتب التي طعنت في هذا الباب كتابان:

١-القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، لبلاشير[٤].

٢-مقدمة كتاب المصاحف لأبي داود، لآرثر جفري.

رد عليهما الدكتور إسماعيل سالم عبد العال في كتابه المستشرقون والقرآن، في جزأين[٥].

وأما النوع الثاني وهو الطعن في القرآن نفسه من حيث دلالالته ومعانيه وأخباره وأحكامه وغير ذلك، وهو الذي أبحث فيه، والسبب في ذلك أن هذا النوع هو الذي تولى القرآن الرد فيه على الطاعنين؛ ولأن الرد

---

(1) من منشورات مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

(2) مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٩٩١ .

(3) العدد ٣، للسنة الحادية والثلاثين، تاريخ نوفمبر ١٩٧٦، ص: ٣٥ .

(4) ريجي بلاشير (١٩٠٠-١٩٧٣) مستشرق فرنسي، ولد في باريس وسافر مع والديه إلى المغرب ودرس في الدار البيضاء، وعين أستاذا للغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس، وتولى عدة مناصب كبيرة وألف كتبا كثيرة عن الإسلام.انظر: موسوعة المستشرقين، للدكتور عبدالرحمن بدوي، (ص: ١٢٧) دار العالم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ .

(5) أصدر الكتاب رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وهو من إصداراتها الدورية تحت سلسلة دعوة الحق، السنة التاسعة، العدد ١٠٤، لعام ١٤١٠هـ.

على هذه الشبه فيه الرد على تلك الشبه بطريق اللزوم، فإنه إذا ثبت أن القرآن ليس من عند النبي ﷺ، بل من الله تعالى، وهو غير قابل للنقد، وأنه ليس فيه تحريف ولا زيادة، وأنه صادق الأخبار وواجب الاتباع، إذا ثبت هذا فإن الله قال فيه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩]، إذن فلا مجال للطعن في تواتره وجمعه وقراءاته وما نسخ منه؛ لأنه محفوظ بحفظ الله له .

وقد حرصتُ على الردود الإجمالية لكل طعن فى فصل الردود التفصيلية على من طعن في القرآن؛ لأنها الأهم، فهي صالحة لما قد أُثير ولما يمكن أن يثار في المستقبل، وأما الردود التفصيلية على كل طعن فإنها لا تنتهي، وقد يُفتح لإنسان مالا يُفتح على غيره في الرد، وبعضها طعن ساذج لا يستحق الرد.

أولاً: التعريف:

الطعن: لكلمة طعن معنيان؛ حسي، ومعنوي؛ فالحسي بمعنى الضرب بآلة حادة كالخنجر، وهو المتعدي للمفعول (طعنه)، والمضارع منه مضموم العين (يطعُن) وبعضهم يفتحه، والمعنوي بمعنى القدح في شيء، سواء كان نسباً، أو كتاباً، أو شخصاً، أو غير ذلك، وهو اللازم (طعن فيه)، والمضارع منه مفتوح العين (يطعَن).

ثانياً: تعريف القرآن:

هو كلام الله المعجز المنزل على محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف،

المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته[١]. والقرآن من المشهورات التي لا تحتاج إلى تعريف .

ثالثاً: تعريف الطعن في القرآن:

الطعن في القرآن: هو أحد مباحث علوم القرآن، التي تبحث في الرد على من طعن في كتاب الله، أو زعم تناقضه، أو إشكاله، والرد عليها بالأدلة الشرعية، والعقلية، والحسية[٢].

هناك عدة مصطلحات في تسمية هذا العلم، ترادف مصطلح الطعن في القرآن وهي:

١- المتشابه أو المشتبه .

٢- موهم الاختلاف أو مختلف القرآن .

٣- موهم الاضطراب .

٤- أسئلة القرآن .

---

(1) انظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١٥)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، وانظر: كتاب النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز (ص: ١٠) دار طيبة للنشر الطبعة الأولى، ١٩٩٧، وانظر: المناظرة في القرآن، عبدالله المقدسي (١/ ٢٢)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩، تحقيق الجديع، وغير ذلك.

(2) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٥٣)، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/ ٧٩)،، القاهرة، مكتبة دار التراث، باهر البرهان في مشكلات القرآن لبيان الحق النيسابوري (١/ ١١٢) .

٥- غامض القرآن .

٦- مشكل القرآن .

أقدم الطعون:

حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ:لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ: {يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ} وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا. فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»(١).

وهذا الطعن الذي ذكر في الحديث، مع أن النبي ﷺ أجاب عليه، إلا أنه لا يزال يردد إلى يومنا هذا، كما سترى فيما سيأتي إن شاء الله .

معرفة أعداء الإسلام عظيم أهمية القرآن:

عرف أعداء الله أهمية كتاب الله تعالى في نفوس المسلمين، ومدى تعلقهم به، وعلموا أنه هو باعث نهضتهم، ومحيي همتهم، وموحد كلمتهم، وسبب نجاتهم وقوتهم.

يقول الحاخام الأكبر لإسرائيل سابقاً مردخاي الياهو، مخاطبا مجموعة على وشك الالتحاق بالجيش الإسرائيلي: (هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدس العرب والمسلمون فيه كتابا يتحدث عنا بكل هذه السلبية؟! على حكام العرب أن يختاروا؛

(1) أخرجه مسلم (كتاب الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب، رقم: ٢١٣).

إما القرآن أو السلام معنا)[١].

وفي بدايات هذا القرن كان الجنود الإيطاليون يتغنون بأنشودتهم: (أنا ذاهب إلى ليبيا فرحا مسرورا، لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ومحو القرآن، وإذا مت يا أماه فلا تبكيني، وإذا سألك أحد عن عدم حدادك فقولي: لقد مات وهو يحارب الإسلام)[٢].

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر: (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية)[٣].

ويقول وليم جيفورد: (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه)[٤].

ويقول اللورد كرومر في مصر: (جئت لأمحو ثلاثاً: القرآن والكعبة والأزهر)[٥].

يقول جون تاكلي: (يجب أن نستخدم القرآن – وهو أمضى سلاح – ضد

---

(١) انظر: مجلة البيان، العدد: ١٥٩، بتاريخ ذو القعدة ١٤٢١هـ، وجريدة البلاد (السعودية): ٣٠ رجب ١٤٢١هـ.

(٢) انظر: صلاح الأمة في علو الهمة لسيد عفاني (٦/ ٥٧٥) نقلا عن التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي.

(٣) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، لجلال العالم، ص: ٣١.

(٤) المرجع السابق ص: ٤٩.

(٥) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، أنور الجندي: ص ٢٩، دار الاعتصام، سلسلة دائرة الضوء.

الإسلام نفسه، بأن نعلم هؤلاء الناس- يعني المسلمين- أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً)[١].

ويقول غلادستون - وزير المستعمرات البريطاني سنة ١٨٩٥، ثم رئيس الوزراء-: (لن تحقق بريطانيا شيئا من غاياتها في العرب، إلا إذا سلبتهم سلطان هذا الكتاب، أخرجوا سر هذا الكتاب -القرآن- مما بينهم تتحطم أمامكم جميع السدود)[٢].

وقال أيضاً: (ما دام هذا القران موجودا في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا تكون هي نفسها في أمان)[٣].

إذن هم يعرفون أن القرآن مصدر قوة المسلمين؛ لذلك أعلنوا الحرب على كتاب الله تعالى، وهذه الحرب قديمة قدم نزول القرآن، كما قال تعالى: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ} [فصلت: ٢٦]؛ يعني أن الغلبة لهم على المسلمين إنما تكون باللغو والطعن في القرآن.

---

(١) انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ص: ٣٢٩)، الدورة السابعة، العدد ٧، الجزء الرابع لعام ١٩٩٢، ورد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم، لجمعة (ص: ٢٦٣)، وواجب المسلمين في نشر الإسلام للأستاذ زيد الفياض (ص: ١٩).

(٢) القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان، أحمد عمران، (ص: ١٧)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

(٣) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد الرومي (ص: ٤٤٢) مكتب الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٢، هجمة علمانية جديدة ومحاكمة النص القرآنى، د.كامل سعفان (ص: ٩٧).

أنواع الطعون:

الطاعنون في القرآن كثر، ومطاعنهم وشبهاتهم كثيرة، وحصرها قد يعيي الباحث، ويكل المجد، ولكن حقيقة هذه الطعون أنها تدور في أفلاك محددة، وتنبع من مشكاة واحدة، ويمكننا أن نرجعها إلى أصول وقواعد تلملم شعث هذه الطعون، والرد على هذه الأصول يتكفل بالرد على جميع ما تحته من طعونات لا تعد ولا تحصر[١]، ويمكننا أن نرد المطاعن إلى أربعة أصول يتفرع من بعضها فروع؛ وهي:

١- نفي نسبة القرآن لله تعالى: ويشمل عدة طعون:

- نسبته إلى النبي ﷺ وأنه من تأليفه[٢].

- نسبته إلى الاقتباس من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل[٣].

---

(١) ويكفي في هذا الرد الإجمالي الذي سيأتي في الفصل الأول من الباب: الثاني.

(٢) انظر: الإسقاط في مناهج المستشرقين للدكتور شوقي أبو خليل (ص: ٤٧)، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ومعالم تاريخ الإنسانية، لويلز (٣/ ٦٢٦)، وتاريخ الدولة العربية، ليوليوس فلهاوزن (ص: ٨)، ترجمه عن الألمانية، د.محمد أبو ريدة، الألف كتاب، القاهرة، ١٩٥٨وغيرها من المراجع.

(٣) انظر: المستشرقون والدراسات القرآنية للدكتور محمد حسين الصغير، (ص: ١١٨-١٢٠)، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ودائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية (ص: ١٦)، والعقيدة والشريعة في الإسلام لجولدتسيهر ص: ١٢، عن كتاب القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين للدكتور أحمد الشاعر (ص: ٩٣) دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، وانظر: القرآن والمستشرقون، لنقرة (ص: ٣١) وغيرها من المراجع.

- دعوى عدم قدسيته وإمكانية نقده ومخالفته[١]؛ يعني قد يقر بأنه ليس من النبي ﷺ وأنه من الله تعالى، ولكن يقول هو ليس مقدسا، بل يمكن نقده، وهذا الكلام حقيقته نفي القرآن عن الله تعالى؛ لأن ما كان من الله سبحانه فهو مقدس ولا يمكن نقده، وما كان من غيره فينطبق عليه ما يجري على كلام البشر من خطأ أو عجز أو جهل، إلى غير ذلك من نقائض البشر.

٢- زعم عدم حفظه:

يعني قد يقر بأن القرآن من الله جل جلاله، ولكن يزعم عدم حفظه فيدعي:

- أنه ليس هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، بل قد غير وبدل، وأما الأصل فلا وجود له[٢].

- أنه زيد فيه ونقص[١]؛ يعني قد يقر بأن القرآن الموجود هو الكتاب الذي نزل من الله، ولكن يقول إنه زيد فيه أو نُقص منه.

---

(١) انظر: القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين، للدكتور أحمد الشاعر (ص: ٩٦-٩٧)، والتمهيد في تاريخ الفلسفة للشيخ مصطفى عبدالرازق (ص: ٥)، نقض مطاعن في القرآن الكريم، لمحمد أحمد عرفة، ص: ٤، و(طه حسين حياته وفكره) لأنور الجندي، ص: ١٤٤، نقلا عن كتاب مستقبل الثقافة في مصر وغيرها من المراجع.

(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، لإبراهيم عوض (ص: ٧)، والوحي الجديد (ص: ٤٤)، نقلا عن كتاب مناقشات وردود، لمحمد فريد وجدي (ص: ٣٧٠)، وغيره من المراجع.

٣- اتهام القرآن بالتناقض:

- تناقض الآيات بعضها مع بعض[٢].

٤- اتهام القرآن بمعارضة الحقائق:

- معارضة الحقائق الشرعية[٣].
- معارضة الحقائق التاريخية[٤].

---

(١) انظر: لطائف المنان ورائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، د.فضل حسن عباس، دار النور للطباعة النشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، والشيعة والقرآن، لإحسان إلاهي ظهير، مكتبة إدارة ترجمات السنة، لاهور باكستان، وكتاب (أيلتقي النقيضان) لمحمد مال الله، دار النفير، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، د.ناصر بن عبدالله القفاري، الفصل الأول من الباب: الأول بعنوان (اعتقادهم في القرآن) (١/ ١٢٣) وغيره من المراجع.

(٢) انظر: كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، وكتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير له أيضا تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، وأضواء على متشابهات القرآن، لخليل ياسين مكتبة الهلال، بيروت، وباهر القرآن في معاني مشكل القرآن لبيان الحق النيسابوري تحقيق سعاد بابقي، من مطبوعات جامعة أم القرى، ١٩٩٧، وغير ذلك من المراجع.

(٣) انظر: كتاب: رد مفتريات على الإسلام، لشلبي، ص: ٣٨، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية، ودائرة المعارف البريطانية (ص: ٢٢)، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد (ص٢٧٦)، المكتبة العصرية، بيروت، وغير ذلك من المراجع.

(٤) انظر: المستشرقون والدراسات الإسلامية، للدكتورمحمد حسين الصغير (٧٤-٧٥)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، وفي الشعر الجاهلي لطه حسين (ص: ٢٦)، ومدخل إلى علم التفسير، للدكتور محمد بلتاجي ص: ١٧٠، وغير ذلك من المراجع.

- معارضة الحقائق الكونية، أو حقائق العلم التجريبي الحديث[١].

والملاحظ في هذه الطعون هو التدرج فيها، فكلما انتفت شبهة انتقلوا إلى التي تليها.

ولو علم المسلمون هذه الشبه الأربع والرد عليها لما حصل ما نراه الآن من تأثر كثير من المسلمين بها، بل والاعتقاد فيها أو التسليم بها.

والمطاعن من حيث صراحتها تنقسم إلى نوعين:

١- طعون واضحة وصريحة، وهذا هو الغالب في طعون المستشرقين.

٢- طعون غامضة وملتوية وغير مباشرة، وهذا الغالب في طعون العلمانيين.

- الرد على من طعن في القرآن:

أولاً: الردود الإجمالية التي تصلح لكل شبهة:

١- إعجاز القرآن الغيبي والعلمي والبياني والتشريعي.

٢- التحدي أن يأتي أحد بمثله: (فليأتوا بحديث مثله- قل لئن اجتمعت الإنس والجن - فليأتوا بعشر سور مثله – فليأتوا بسورة من مثله).

٣- شهادة المنصفين من الخصوم بصدقه.

٤- الوحدة الموضوعية لكل سورة.

٥- عدم التناقض.

---

(١) انظر: رد مفتريات على الإسلام، لعبد الجليل شلبي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ومدخل إلى علم التفسير لأستاذنا الدكتور بلتاجي، مكتبة الشباب، ١٩٩٨، وغير ذلك من المراجع.

٦- عدم معارضة كفار مكة له، مع أنهم أكثر الناس عداوة وفصاحة.

ثانياً: الرد على الطعون الأربعة الرئيسية:

أ- الرد على الطعن الأول (نفي نسبة القرآن إلى الله تعالى):

١- لو كان القرآن من تأليف النبي ﷺ، لاستطاع العرب أن يأتوا بمثله، مع حرصهم الشديد على معارضته، لكن النبي ﷺ كان يتحداهم دائماً ويكرره عليهم كثيراً، ومع هذا لم يطق أحد منهم معارضته، ولا يقال: إن النبي ﷺ بلغ من العبقرية مبلغا،بحيث لم يستطع أحد أن يأتي بمثل ما قال. لأنه يمكن للمخالفين أن يجتمعوا فيؤلفوا قرآناً، ومن المعلوم أن الجماعة تبدع وتبتكر أكثر من الإنسان الواحد، فلو اجتمع مائة شاعر مثلاً لتأليف قصيدة؛ لكانت في جمالها وقوتها وسبكها أفضل بمراحل من شاعر واحد ألف قصيدة، مهما بلغ هذا الشاعر من البلاغة والبيان[1]، فإذا كان آحاد المشركين لم يستطيعوا معارضة القرآن؛ فلماذا لم يجتمعوا لمعارضته؟ ولكن هيهات؛ فإنه لو اجتمعت قريش والعرب وأهل الأرض قاطبة، بل والجن ما كان لهم أن يأتوا بمثل آية منه: {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ

(١) ومن هذا الباب المجامع الفقهية وما فيها من اجتهاد جماعي، ومنه ما في دول الغرب من عمل لجان متخصصة في الطب والفلك والأحياء والكيمياء والكهرباء والحاسوب وغيرها من العلوم، فأثمرت هذه اللجان المتخصصة علوما وإبداعا، واكتشافا لا يستطيعه الفرد الواحد مهما بلغ من فرط الذكاء وسيلان، الذهن وعبقرية العقل أن يبدعه .

عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا} [الإسراء: ٨٨].

٢- (تبرؤ محمد ﷺ من نسبة القرآن إليه ليس ادعاء يحتاج بينة،بل هو إقرار يؤخذ به صاحبه:

في الحقيقة إن هذه القضية لو وجدت قاضياً يقضي بالعدل، لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه، ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل، ذلك أنها ليست من جنس (الدعاوى) فتحتاج إلى بينه، وإنما هي من نوع (الإقرار) الذي يؤخذ به صاحبه، ولا يتوقف صديق ولا عدو في قبوله منه، أي مصلحة للعاقل الذي يدعي لنفسه حق الزعامة،ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة، نقول أي مصلحة له في أن ينسب بضاعته لغيره، وينسلخ منها انسلاخاً؟ على حين أنه كان يستطيع أن ينتحلها فيزداد بها رفعة وفخامة شأن، ولو انتحلها لما وجد من البشر أحداً يعارضه ويزعمها لنفسه .

الذي نعرفه أن كثيراً من الأدباء يسطون على آثار غيرهم،فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله وغلت قيمته وأُمنت تهمته، حتى إن منهم من ينبش قبور الموتى،و يلبس من أكفانهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأبواب المستعارة؛ أمَّا أن أحداً ينسب لغيره أنفس آثار عقله، وأغلى ما تجود به قريحته فهذا ما لم يلده الدهر بعد)[1] .

٣- (لا أدل على أن الوحي القرآني خارج عن الذات المحمدية من

---

(١) النبأ العظيم: (ص: ١٦)

مخالفة القرآن في عدة مواطن لرأيه الشخصي ولطبعه الخاص)[1] ومعاتبته على أخطائه :

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ} [التحريم:١]، {وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ} [الأحزاب: ٣٧]، {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ} [التوبة: ٤٣]، {مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ} [التوبة: ١١٣]، {مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال:٦٧- ٦٨]، {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ}.

[عبس:٥-١٠]

(١) القرآن والمستشرقون، لنقرة ص:٣٥، والمستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، محمد باقر الحكيم (ص:٥٠)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

أرأيت لو كان هذه التقريعات المؤلمة[١] صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه؛ أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه، واستبقاء لحرمة آرائه؟ بل إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه، لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئاً من ذلك الوجدان،و لو كان كاتماً شيئاً لكتم أمثال هذه الآيات، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه{وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ} [التكوير: ٢٤])[٢].

وقد أقر بهذا الدليل بعض المستشرقين، مثل المستشرق (ليتنر) حيث قال: (مرة أوحى الله إلى النبي ﷺ وحياً شديد المؤاخذة؛ لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى، ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذاك الوحي، فلو كان محمد كاذباً - كما يقول أغبياء النصارى بحقه -

(١) الدكتور دراز لم يذكر فيما ذكر تقريعات مؤلمة بل إنما هي عتاب، ولكن هناك آيات آخرى تدل على ما قال منها قوله تعالى: {وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء:٧٤-٧٥] وقوله: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ} [المائدة:٦٧]، وقوله: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ} [الحاقة:٤٤-٤٧].

(٢) النبأ العظيم، ص:٢٤.

لما كان لذلك الوحي من وجود)[١].

٤- نسبة محمد ﷺ القرآن إلى الله لا تكون احتيالاً منه لبسط نفوذه، وإلا لِمَ لَمْ ينسب أقواله كلها إلى الله[٢] .

٥- (في بعض المواقف تكون حاجة النبي ﷺ للقرآن شديدة، بل لقد كانت تنزل به نوازل من شأنها أن تحفزه إلى القول، وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم، بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالاً ومجالاً، ولكنه كانت تمضي الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام، ولا يجد في شأنها قرآناً يقرؤه على الناس؛ ومع هذا لم يتقوله ولم ينزل عليه شيء)[٣]، مما يدلك على صدقه؛ إذ الكاذب لا يتأخر في افتراء الكذب عند الحاجة الماسة إليه، ومن أمثلة ذلك حادثة الإفك وسؤال قريش له عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، وتحرقه لتحويل القبلة وغيرها.

٦- توقف الرسول ﷺ أحياناً في فهم مغزى النص حتى يأتيه البيان:

(لقد كان يجيئه الأمر أحياناً بالقول المجمل، أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله، حتى ينزل الله عليهم بيانه بعد. قل لي بربك: أي عاقل توحي إليه نفسه كلاماً لا يفهم هو معناه،

---

(١) دين الإسلام، للايتنر، ترجمة عبدالوهاب سليم (ص:١٣٢)، المكتبة السلفية، دمشق، ١٤٢٣هـ.، وذكر أن لايتنر هو باحث انجليزي حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، زار الأستانة عام ١٨٥٤م.

(٢) شبهات حول القرآن وتفنيدها، د.غازي عناية، (ص:٢١).

(٣) آراء المستشرقين لرضوان (١/ ٣٨٨).

وتأمره أمراً لا يعقل هو حكمته؟

أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل، وأنه مأمور لا آمر؟

ومـن أمثلة ذلك موقفه في قضية المحاسبة على النيات: {وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ} [البقرة: ٢٨٤] جزع الصحابة من هذه الآية، وأمرهم بالتسليم لها، وكذلك موقفه في صلح الحديبية وموافقته على كل شروط قريش مع اعتقاد بعض الصحابة أن فيها تنازلاً كبيراً -كعمر بن الخطاب- .

٧- إخباره في هذا الكتاب بأمور تحصل بعد موته وعلوم لم تكن في عصره، وقد قيل: يمكن أن تخدع كل الناس بعض الوقت، ويمكن أن تخدع بعض الناس كل الوقت، ولكن لا يمكن أن تخدع كل الناس كل الوقت.

فلنفرض أن النبي ﷺ استطاع أن يخدع كل من كان في زمنه، ألا يخشى أن ينكشف بعد ذلك إذا ازداد الناس علما، فهو يخبر بأمور فلكية وأخرى طبية وأمور جغرافية، ويخبر بأحداث سوف تقع بعد موته، ويتكلم بعلوم لم يعرفها أهل زمانه، كل هذا وهو مطمئن القلب لصدق نفسه، ثم لا يأتي الواقع إلا مطابقاً لما قال، ولا يأتي العلم - على تقدمه الكبير- إلا بتأكيد كلامه وتأييد آرائه، أليس في هذا دليل أنه لا يتحدث من قبل نفسه، بل من قبل من يعلم السر والنجوى الذي لا تخفى عليه خافية.

٨- من الأدلة على أن القرآن ليس من النبي ﷺ: أوقات نزوله[١]؛ فليس للنبي ﷺ اختيار فيما ينزل أو متى ينزل، فقد يأتيه وهو في الفراش مع أهله، أو وهو نائم، أو مع أصحابه، أو وهو سائر، أو على البعير[٢]، وقد يتتابع الوحي ويحمى حتى يشعر بكثرته عليه له، وقد يفتر عنه حتى يشتاق إليه، بل قد يمرض من تأخره عليه.

الرد على ادعا أنه نقل من غيره:

١-لقد تكفل الله تعالى بالرد على هذه الشبهة:

وبالسبر والتقسيم القول: إن القرآن يمكن أن يأتي إلى النبي ﷺ عن أربع طرق: من عند نفسه، من عند شخص، من كتاب، من الله تعالى،أما من عند نفسه فقد تقدم معنا الرد على هذه الشبهة بأكثر من عشرة أوجه[٣].

- أما من عند شخص؛ فمن هو هذا الشخص؟ أكثر الطاعنين على أنهم نصارى أو يهود، فرد الله تعالى عليهم أن لسان أولئك القوم ولغتهم أعجمية، ولكن لغة هذا القرآن عربي مبين، فكيف للأعجمي أن يأتي بأعلى الفصاحة وذروة البلاغة في اللغة العربية: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} [النحل:١٠٣].

---

(١) المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، للحكيم (ص: ٥٤).

(٢) انظر فتح الباري (١/ ٣٠) فقد ذكر أن عند البيهقي حديث (وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فيضرب حزامها الأرض من ثقل ما يوحى إليه).

(٣) راجع ص السابقة .

-أما من كتاب، فالنبي ﷺ لا يقرأ ولا يكتب: {وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ} [العنكبوت:٤٨].

- فلم يبق إلا أنه من الله تعالى.

٢- **العهد القديم لم يكن مترجماً إلى اللغة العربية قبل الإسلام**، وقد نص على ذلك المستشرقون أنفسهم، فهذا (جوتين) يقول عن صحائف اليهود: (إن تلك الصحائف مكتوبة بلغة أجنبية)[١]، وقد أشارت الموسوعة البريطانية إلى عدم وجود ترجمة عربية لأسفار اليهود قبل الإسلام وأن أول ترجمة كانت في أوائل العصر العباسي، وكانت بأحرف عبرية[٢] .

كيف إذن أخذ النبي ﷺ منها، لابد على المستشرقين أن يفتروا كذبة جديدة، وهي أن النبي ﷺ درس لغة التوراة فكان يترجمها للقرآن؟!

٣- **ومن لطائف الاستدلال على أنه لم ينقل من غيره ما يذكره العلماء في فوائد أسباب النزول**؛ إذ يذكرون أن من فوائد أسباب النزول أن دلالته على إعجاز القرآن، وأنه من الله تعالى من ناحية الارتجال، فنزوله بعد الحادثة مباشرة يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين، أو من كتب السابقين[٣]، فلو كان ينقل كتابه من كتب غيره، لكان إذا سأله سائل يتريث حتى يراجع الكتب التي عنده، وينظر ماذا تقول في هذه

---

(١) دراسات في تاريخ الإسلام ونظمه، س. د. جوتين، نقلاً عن كتاب الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، لمحمود ماضي، (ص:١٤٧).

(٢) المرجع السابق (ص:١٤٨).

(٣) ذكر هذه الفائدة الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير (١/ ٥٠).

المسألة ثم يجيب، ولكن النبي ﷺ لم يكن يفعل، بل يسأله الرجل فيعطيه الجواب الموافق للصواب، الذي لم يكن قرأه ولا عرفه إلا في هذه اللحظة التي نزل عليه فيها.

٤- **لو كان القرآن مأخوذا من التوراة والإنجيل والكتب السابقة، لما استطاع محمد ﷺ أن يتحدى الناس ويقدم على هذا الخطأ الفادح؛** لأن هذه الأصول المنقول عنها موجودة في متناول أيدي الجميع، فلماذا يتحدى الناس بشيء موجود، ألا يخشى أن يقوم بعض الناس بالرجوع إلى مراجعه والعمل مثل عمله، فينكشف؟

٥- **(افتراض تعلم النبي ﷺ من نصارى الشام ويهود المدينة وغيرهم، لا يتفق مع الحقيقة التاريخية التي تحدثنا عن الحيرة والتردد في موقف المشركين من رسول الله في محاولتهم لتفسير ظاهرة الرسالة؛** لأن مثل هذه العلاقة مع النصارى أو اليهود لا يمكن التستر عليها أمام أعداء الدعوة من المشركين وغيرهم، الذين عاصروه وعرفوا أخباره وخبروا حياته العامة بما فيها من سفرات ورحلات)[1].

٦- **وجود بعض الشرائع في القرآن، التي تتفق مع ما في التوراة والإنجيل، أو حتى ما عند العرب ليس في هذا دليل على أنه مأخوذ منها،** فالقرآن لم يأت لهدم كل شيء، بل لتصحيح الخطأ وإقرار الحق، فالصدق والشجاعة والكرم والحلم والرحمة والعزة كل هذه المعاني موجودة عند كفار مكة ومع هذا جاء الإسلام ولم يغير منها شيئا بل

(١) المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، لمحمد باقر الحكيم (ص:٤٣).

باركها وحث عليها، لذلك قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ**»[(١)]. ولم يقل: لأنشئها .

إذن ليس من الضروري لكتاب هداية من هذا القبيل، أن يشجب كل الوضع الذي كانت الإنسانية عليه قبله حتى يثبت صحة نفسه، فمن الطبيعي أن يقر القرآن بعض الشرائع، سواء في الكتب السابقة السماوية، أو في عادات الناس وأعرافهم، وأما الخطأ فإنه لا يقره[(٢)]، وقد نص القرآن على هذا المعنى في مثل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ} [يونس:٣٧].

٧- **كيف يمكن اعتبار التوراة والإنجيل من أهم مصادر القرآن مع أن القرآن**، خالفها في كثير من الأشياء؛ ففي بعض الأحداث التاريخية نجد القرآن يذكرها بدقة متناهية، ويتمسك بها بإصرار، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يتجاهل بعضها،على الأقل تفاديا للاصطدام بالتوراة والإنجيل)[(٣)].

(ففي قصة موسى يشير القرآن إلى أن التي كفلت موسى هي امرأة فرعون، مع أن سفر الخروج يؤكد أنها كانت ابنته، كما أن القرآن يذكر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة (٨٧٢٩)، رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغاً من غير إسناد (كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق) بلفظ (بعثت لأتمم حسن الخلق)، وأخرجه البزار بلفظ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (انظر فتح الباري (٦/ ٦٦٥).

(٢) المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، للحكيم (ص:٦١).

(٣) المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن (ص:٤٦).

غرق فرعون بشكل دقيق، لا يتجاهل حتى مسألة نجاة بدن فرعون من الغرق مع موته وهلاكه، في الوقت الذي نجد التوراة تشير إلى غرق فرعون بشكل مبهم، ويتكرر نفس الموقف في قضية العجل ؛حيث تذكر التوراة أن الذي صنعه هو هارون، وفي قصة ولادة مريم للمسيح- عليهما السلام- وغيرها من القضايا)[١].

٨- من المعلوم أن في القرآن ما لا وجود له في كتب اليهود والنصارى، مثل: قصة هود وصالح وشعيب، فكيف أتى بها النبي ﷺ؟[٢].

٩- وإذا كان النبي ﷺ أخذ من النصارى الذين خالطهم؛ من أمثال سلمان، وصهيب وورقة، فلِمَ لم يفضحوه عندما سب النصارى وكفرهم في كتابه في عدة آيات، حتى إن سورة المائدة، وهي من آخر السور نزولا، كانت من أكثر السور تكفيرا للنصارى[٣]؟ ذكر الآيات التي تكفر النصارى من سورة المائدة .

١٠- من تناقضهم زعمهم أن النبي ﷺ أخذ القرآن من سلمان وصهيب النصرانيين وابن سلام اليهودي وغيرهم ممن أسلم من أهل الكتاب(٤)، وحقيقة الأمر أن إسلام هؤلاء حجة عليهم، إذ لو كان النبي ﷺ

---

(١) المرجع السابق (ص:٤٧).

(٢) الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده، لماضى (ص:١٤٨)، الجواب الصحيح لابن تيمية (٣/ ٢٥)،(٤/ ٥٧).

(٣) الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، لماضي (ص:١٤٨).

(٤) انظر القرآن والمستشرقون، لنقرة،ص:٣٥.

أخذ القرآن والشريعة من أهل الكتاب، فلماذا يتركون الأصل ويذهبون إلى الفرع؟

دعوى جواز نقده ومخالفته، والرد عليهم:

هذا لون آخر من ألوان المواجهة البغيضة ضد القرآن، وهو ليس موجها ضد النص القرآني في مصدره الإلهي، ولكنه يستهدف أثر القرآن في الحركة الفكرية والتقدم العلمي.

فهو قد يقر بأن القرآن من عند الله، ولكن هذا الأمر لا يجعله يسلم من النقد والمخالفة، وحقيقة هذا الطعن أنه إنكار لقدسيته، وأنه من عند الله ولكن بأسلوب ذكي؛ لأنه يعلم أنه لو صرح بإنكار القرآن وأنه ليس من عند الله، فسوف يلقى طوفاناً من المواجهة والتهم التي قد تصل إلى تكفيره؛ فلجأوا إلى هذه الشبهة ومؤداها هو نفس مؤدى إنكار القرآن، فأهم قضية عند المسلمين - وهي التي تؤرق الكافرين وأذنابهم- أن القرآن قدسي لا يقبل النقد، وحاكم واجب الاتباع .

وإذا ثبت أن القرآن ليس من عند النبي ﷺ، وأنه من الله تعالى بكل ما فيه من كلمات وحروف - كما أثبتنا هذا في المباحث السابقة- فهو إذن مقدس لا يمكن الاعتراض عليه ولا نقده، فقد أمر الله الناس باتباع الشرع، والأمر يدل على الوجوب؛ فقال سبحانه: {وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ} [يونس:١٠٩]، فكيف نخالف أمر الله تعالى بأن نتبع غير الوحي؟

ومن أعظم معاني العبادة الرضى به حَكَمًا سبحانه:

{إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ} [يوسف:٤٠]، فالدين القيم أن تجعل تحاكمك لله، والتحليل والتحريم والتشريع من خصائص الربوبية، ومن جعلها لغير الله فقد اتخذه ندا له سبحانه:

{إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ} [الأنعام:٥٧].

والحصر يدل على انفراد الله تعالى بالحكم.

{ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ} [التوبة:٣١]

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ ".وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: {ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ} قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»[(١)].

يعني أنهم لم يتخذوهم أربابا لأنهم عبدوهم،بل لكونهم أطاعوهم في التحليل والتحريم .

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب التفسير، باب سورة التوبة، رقم:٣٠٩٥) وحسنه الألباني (صحيح الترمذي (٣/ ٥٦) رقم:٢٤٧١).

وقال سبحانه: {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا} [الكهف:٢٦]، فسمى التحاكم لغيره شركًا[١]، وقال: {وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [الشورى: ١٠]، وكلمة (شيء) نكرة في سياق النفي وهذا من صيغ العموم، فكل شيء نختلف فيه فالحكم فيه لله، ثم أكد على إرادة العموم بـ (من) التي تفيد التأكيد[٢]. والله سبحانه لا يحكم ولا يقضي إلا بالحق، فمن رد حكم الله وشرعه فإنما رد الحق: {فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ} [يونس:٣٢]. قال جل جلاله: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨]. وقال الله تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ} [النساء: ١٠٥].

وقال سبحانه: {وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ} [الإسراء:١٠٥]، فهو متلبس بلبوس الحق على كل أحواله[٣]. والله تعالى لا يظلم ولا يحيف في الحكم[٤] {أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [النور:٥٠]، فلماذا إذن لا نأخذ حكمه؟ وقال تعالى:

---

(1)انظر:أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٩١)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٨٨.

(2) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٧).

(3) انظر: تفسير القاسمي (٤/ ٦٣٦).

(4)انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٨).

{أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ} [التين: ٨]، {وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ} [الأعراف: ٨٧]، {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

فإن كان الله أحسن الحاكمين وخيرهم وأحكمهم، فكيف يعرض المسلم عنه إلى غيره؟ لذلك قال النبي ﷺ كما ذكر الله تعالى عنه: {أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ} [الأنعام:١١٤]، يعني وأهل الكتاب يشهدون بفضله ومنزلته وأنه حق.

- من يعرض عن دين الله ويحكم أي شيء آخر، فإنما هو متبع لهواه:

قال سبحانه: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} [القصص:٥٠]؛ يعني لا أحد أضل ممن اتبع هواه.

وقال جل جلاله: {وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٤٩-٥٠]، فكل حكم غير حكم الله، فهو حكم الجاهلية، وليس حكم الحضارة والتقدم كما يزعم الطاعنون. وقال: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨]. وقال: {وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ} [الرعد: ٣٧]، وهذا وعيد شديد للنبي ﷺ لو خالف كتاب الله؛ فما بالك بغيره.

بل هذا التولي عن دين الله يعد من نواقض الإسلام يقول تعالى:

{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥]، فنفى الله تعالى عن من لم يُحَكِّمِ النبيَّ ﷺ الإيمان، وأقسم على ذلك بأعظم قسم - أقسم بنفسه العلية - وأكد هذا بالنفي مرتين (لا.. لا)، (وفي هذا الوعيد الشديد ما تقشعر له الجلود وترجف له الأفئدة فإنه أولاً أقسم سبحانه بنفسه مؤكدا لهذا القسم بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون فنفى عنهم الإيمان الذي هو رأس مال صالحي عباد الله حتى تحصل لهم غاية هي تحكيم رسول الله ﷺ ثم لم يكتف سبحانه بذلك حتى قال: {ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ} [النساء: ٦٥]، فضم إلى التحكيم أمرا آخر هو عدم وجود حرج أي حرج في صدورهم فلا يكون مجرد التحكيم والإذعان كافيا حتى يكون من صميم القلب عن رضا واطمئنان وانثلاج قلب وطيب نفس ثم لم يكتف بهذا كله بل ضم إليه قوله: {وَيُسَلِّمُوا} أي يذعنوا وينقادوا ظاهرا وباطنا ثم لم يكتف

بذلك بل ضم إليه المصدر المؤكد فقال: {تَسْلِيمًا} فلا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم ولا يجد الحرج في صدره بما قضى عليه ويسلم لحكم الله وشرعه تسليما لا يخالطه رد ولا تشوبه مخالفة)[1].

وقال سبحانه:

{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [المائدة: ٤٤].

{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [المائدة: ٤٥].

{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ} [المائدة: ٤٧].

{وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ

(1) فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٧٣).

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ} [النور:٤٧-٥٤].

لذلك كله فلا يجوز لأحد كائنا من كان أن ينتقد كتاب الله أو يخالف مقتضاه:

قال تعالى: {وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ}.

[الرعد: ٤١]

نعم لا يجوز لأحد أن يعقب على أحكام الله، وذلك أن الانتقاد والتعقيب إنما يكون بسبب أمور؛ إما أن المعقب والمنتقِد أعلم من المنتقَد، سواء كان أعلم على العموم أو بهذه المسألة بالذات التي انتقد فيها، أو لا يكون أعلم ولكن المنتقَد غفل عن نقطة معينة في حكمه جانب فيها الصواب، فينبهه المنتقِد عليها .

وكل هذا منتفٍ بحق الله سبحانه، فلا أحد أعلم منه في كل الأمور جملة وتفصيلاً، والله سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نسيان ولا غفلة: {لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى} [طه: ٥٢]. {وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا}.

[الأنعام: ١٣٢]

وقال الله تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ}.

[النساء: ١٠٥]

وقال سبحانه: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ}.

[النساء: ٦٤]

إذن الغاية من إنزال الكتب أن يُتحاكم إليها، والغاية من إرسال الرسل طاعتها، فمن لم يحقق هذه الغايات فهو لم يؤمن أصلاً بدين الإسلام، بل بكل الأديان، فما الدين إلا طاعة الله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وما الإسلام إلا استسلام العبد لله في تطبيق شرعه على نفسه ومجتمعه.

الرد على زعم من ادعى عدم حفظه :

١- شهد لكماله وحفظه أعداؤه فمن تلك الشهادات:

يقول لوبلوا[١]: (إن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر)[٢].

ويقول موير[٣]: (إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حُفِظَ بعناية شديدة

---

(١) لوبلوا: لم أجد له ترجمة، وإن كان واضحا من اسمه أنه فرنسي، وقد يكون هناك خطأ مطبعي في كتابة اسمه، فقد وجدت رجلا فرنسيا اسمه (ماري لوبان) وهو زعيم حزب الجبهة الوطنية، كان ضابطا في الجيش الفرنسي بالجزائر، وله عضوية بالبرلمان الأوروبي بمدينة ستراسبورغ، حزبه ينمو لمطالبته بإخراج العرب من فرنسا، يتراوح عدد المصوتين له بين ٨ و١١٪، فلعله يكون هو مقصود الدكتور دراز لاسيما أن دراز أقام في فرنسا طويلا.(انظر: مجلة الهدى التونسة، العدد١٣).

(٢) انظر:كتاب مدخل إلى القرآن الكريم، للدكتور محمد عبدالله دراز،(ص:٤٠)، دار القلم، الكويت،١٩٩٣.

(٣) ليوأري موير (١٨٩٥ – ١٩٥٩): ولد في بولندا، علام بولندا، عالم بالآثار الإسلامية، يهودي، هاجر إلي فلسطين عام (١٩٢١) ومات فيها، وتقلب في الجامعة العبرية بين مناصب كثيرة من مدرس في معهد الدراسات الشرقية ثم عميد المعهد ثم مدير للجامعة، وله مؤلفات كثيرة، انظر: «موسوعة المستشرقين»: ص ٥٣٩.

بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول: إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها، والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة؛ فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم، يعد أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا، والذي يرجع إلى الخليفة المكروب عثمان)[١].

ويقول بلاشير[٢]: (إن الفضل بعد الله يعود إلى الخليفة عثمان بن عفان؛ لإسهامه قبل سنة ٦٥٥م في إبعاد المخاطر الناشئة عن وجود نسخ عديدة من القرآن، وإليه وحده يدين المسلمون بفضل تثبيت نص كتابهم المنزل، على مدى الأجيال القادمة)[٣].

٢- هذه الشبهة الرد عليها متفرع من الرد على الشبه السابقة، فإن كان المخالف قد أقر بأن هذا القرآن ليس من النبي ﷺ ولا نقله من غيره، بل هو من الله تعالى؛ فإن الله قال في هذا الكتاب: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر: ٩]، فبما أن الله تكفل بحفظه، إذن لا يوجد مجال للطعن في بقائه؛ لأن هذا تكذيب لله تعالى.

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم، للدكتور محمد عبدالله دراز،(ص:٤٠)، دار القلم، الكويت،١٩٩٣.

(٢) تقدمت ترجمته ص (٩) .

(٣) تاريخ الأدب العربي لبلاشير (٢/ ٢٢) عن كتاب قالوا عن الإسلام (ص:٥٢).

٣- يكفي في الرد على هذه الدعوى العارية عن مستند أن نطالبهم بالدليل: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ١١١].

فالدعاوى إن لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء

٤- نرد عليهم بالواقع؛ فإن الواقع يُثْبِتُ أن القرآن لم يتغير منه شيء، فالتفاسير القديمة والكتب المؤلفة في الصدر الأول، والآثار المنقولة عن التابعين والصحابة،والأحاديث المرفوعة للنبي ﷺ لم نجد فيها حرفا يغاير ما هو بين أيدينا الآن،بل يذكر فيها القرآن بنصه وحروفه وترتيبه، وكل من قام بمحاولة لتحريفه أو تغييره فُضِحَ وكُشِفَ وباءت حيلُه بالفشل .

٥-أجمع العلماء على أن ما بين دفتي المصحف هو كتاب الله الذي أنزل، وليس فيه نقص ولا زيادة[١]، ولم تعتن أمة من الأمم بكتاب كاعتناء أمة الإسلام بكتاب الله (القرآن)، فقد ألفت حوله من الكتب ما لا يحصى كثرة؛ في تفسيره وضبط حروفه وعلومه، وتفنيد الشبهات حوله، وقراءاته، وتجويده، وإعجازه، وبلاغته، وإعرابه، ورسمه، وأعداد كلماته، وحروفه، وغير ذلك[٢].

- وأما أجوبة الشبهات في دعوى التناقض سواء في الآيات بعضها مع بعض أو تعارض الآيات مع الحقائق (الشرعية والتاريخية والعلمية) فهي كثيرة وتفصيلها طويل، وقد أجبت على الكثير منها في الرسالة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) انظر: شبهات حول القرآن (ص: ٤٩).

(2) انظر: مدخل إلى علم التفسير، أ.د. محمد بلتاجي (ص: ٧).